الأسلوب والأسلوبية، مفاهيم واتجاهات

ياقوت بشير
أستاذة محاضرة أ، جامعة الجزائر 1
y.bachir@univ-alger.dz 0549 61 62 20

تاريخ الإرسال: 2021/02/19- تاريخ القبول: 2021/02/24- تاريخ النشر:2021/12/26

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية للمفاهيم التي حاول من خلالها الباحثون تحديد ماهية الأسلوبية، وذلك في علاقتها بالمفاهيم التي أفردوها لتعريف ظاهرة الأسلوب. وتتحدد إشكاليتها في تقصي أثر هذه التعريفات في إيجاد الإطار المفهومي للأسلوبية وحصر اتجاهاتها باعتبارها مجالا بحثيا يسعى إلى توخي منهج علمي خاص به بعيدا عن المناهج النقدية التقليدية.

فهي دراسة تبحث في تنوع المفاهيم التي تهدف إلى تحديد موضوع العلم في ارتباطها بتعدد المفاهيم التي تهدف إلى تحديد مناهج البحث فيه، وبالتالي تعريف العلم.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب؛ الأسلوبية؛ اللسانيات؛ مفاهيم؛ اتجاهات.

Résumé :

Cette recherche vise à fournir une étude analytique des concepts à travers lesquels les chercheurs ont essayé de définir la stylistique, par rapport aux concepts qu'ils ont proposés pour définir le phénomène du style. Sa problématique se résume dans l'étude de l'impact de ces définitions sur la détermination du cadre conceptuel de a stylistique et de ses tendances, en tant que domaine de recherche qui vise à élaborer sa propre approche scientifique loin des approches de la critique littéraire classique.

En un mot, cette recherche consiste en l'étude de la diversité des concepts visant à définir l'objet de la science, en corrélation avec la multiplicité des concepts visant à définir ses méthodes de recherche, et donc la définition de la science elle-même.

Mots clés : style ; stylistique ; linguistique ; concepts ; tendances.

مقدمة:

شهدت اللسانيات مند بداية القرن العشرين تطورا سريعا نتيجة للثورة العلمية التي أحدثتها أفكار دي سوسور، وصاحب تطور نظريته اللغوية تطورا في الدراسات الأسلوبية لتصير علما مستقلا؛ ولذلك تعد الأسلوبية وليدة النظرية اللسانية الحديثة، فهي تأسست على يد شارل بالي تلميذ دي سوسور، وسعت إلى رسم حدودها في إطار منهج علمي مغاير للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كانت ترتكز في تحليلها للخطاب على السياقات الخارجة عن النصوص.

وتجدر الإشارة إلى أن رواد الأسلوبية في محاولاتهم لإرساء قواعد العلم، أظهروا عدم اتفاقهم حول تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية؛وأما مصدر هذا التعدد، فيعزى إلى اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها تعاريفهم، فهي تتطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه،

وتهدف هذه الدراسة إلى استعراض وجهات نظر الدارسين وتحليل تعاريفهم للأسلوبية في ضوء المفاهيم المختلفة التي أوردوها للأسلوب،وتناقش أثر ذلك الاختلاف في توجيه الدرس الأسلوبي وتحديد ماهيته.

1-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات العربية القديمة:

أوردت المعجمات العربية لمصطلح الأسلوب دلالات متنوعة، نذكر من بينها بعض الدلالات التي ضمّنها ابن منظور معجمه، ومنها ما ورد في اللسان من أن مصطلح الأسلوب يطلق على السطر من النخيل وكل ما هو ممتد من الطريق، فهو" الطريق والوجه والمذهب، ... ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه"[1].

وفضلا عن الدراسات المعجمية، استعمل العرب القدماء لفظ الأسلوب بوصفه الطريقة المخصوصة في النظم في معرض مباحثهم لإعجاز القرآن، وذلك في موازناتهم بين أسلوبه وغيره من أساليب أجناس الكلام البشري، نذكر من بينهم ابن قتيبة والخطابي والباقلاني؛ ومما ورد في هذا السياق حديث الباقلاني:"...وذلك أن نظم القرآن... خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد."[2]

وشهد التراث البلاغي تداولا لمصطلح الأسلوب، وعرّفه عبد القاهر الجرجاني على أنه:"الضرب من النظم والطريق فيه"[3].وتميز الجرجاني

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ط1، مج 1، دار صادر، بيروت، 1955، ص443.

[2]-الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001م، ص35.

[3]- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ، ص469.

بربطه بين النظم ومعاني النحو، حيث يقول: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو."[4]

وعرف ابن خلدون الأسلوب باعتباره منوالا تنسج فيه التراكيب أو قالبا تفرغ فيه،وهو يرى أنه "لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض،"[5]فصناعة الشعر أو شاعرية الشاعر لا تقوم على مجرد إدراك هذه العلوم؛ وإنما يرجع الأسلوب إلى "صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص،وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصّها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب محصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من. الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"[6]

فالأسلوب إذ ن حسب ابن خلدون هو ملكة تطبع الذوق تحصل بالاطلاع والتدرب على قراءة نماذج أدبية متميزة، وتتشكل بموجبها صور نموذجية للأساليب في الذهن، تمثل قوالب يتم استحضارها لتصب فيها التراكيب التي يتم اختيارها بما يوافق قواعد التركيب والاستعمال، ويحقق القصد من الكلام، فضلا عن ملاءمة فن القول.ويقترب منحى ابن خلدون السابق

[4]-المصدر نفسه، ص81.

[5]-ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408ه، ص570.

[6]-المصدر نفسه، ص570.

في تحديده لمفهوم الأسلوب من منحى الدارسين المحدثين كما سيتضح لنا لاحقا.

2-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات الحديثة:

تداول الأوروبيون لفظة الأسلوب منذ عهد أرسطو، فقد تحدث في كتابه "الخطابة" عنه، وقسمه إلى أسلوب متصل وأسلوب دوري، كما أنه فرق بين الأسلوب الجميل والأسلوب القبيح. واشتقت كلمة "style في اللغات الأوروبية من الجذر اللغوي "stylus" الذي يعني "ريشة" أو"القلم" في الأصل، ثم استعمل مجازا للدلالة على طريقة الكتابة، حيث ارتبط بطريقة الكتابة اليدوية (المخطوطات). وأطلق في وقت لاحق على التعبيرات اللغوية الأدبية، وصار يعني الطريق الخاص لاستعمال اللغة المميز للكاتب أو الخطيب[7].

وتم إدراج مصطلح الأسلوب في الدرس النقدي الألماني منذ أوائل القرن التاسع عشر في معجم جريم (Grimm). ويعود أول ظهور للفظة الأسلوب بوصفها مصطلحا في اللغة الإنجليزية حسب ما ورد في قاموس أكسفورد إلى سنة 1846م، في حين وردت في القاموس الفرنسي للمرة الأولى عام 1872م.[8]

ويجمع الباحثون المحدثون على أن الأسلوب من أهم المقولات التي توجد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما، وذلك بالرغم من عدم اتفاقهم على تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى

[7]- فضل صلاح ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998، ص 93.
[8]-المرجع نفسه، ص94.

إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية.

وما من شك أن مصدر هذا التعدد في التعريفات يكمن في اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها، فهي تنطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه، وبالنظر إلى ذلك، يمكن أن نميز في تعريف الظاهرة الأسلوبية بين مقاربات ثلاث، نعرضها فيما يلي:

1.2-الأسلوب باعتبار المرسِل أو المخاطِب:

تعرّف طائفة من الباحثين الأسلوب باعتبار منشئه، وهو يعني وفقا لهذا الاعتبار التعبير الذي يكشف نمط التفكير عند صاحبه، ولذلك تداول أنصار هذا المنحى مقولة بيفون " Buffon" الشهيرة، والتي مفادها أن "الأسلوب هو الرجل نفسه".ويتجلى ذلك بوضوح في قوله:" إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتسبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير"[9].

والأسلوب وفقا لهذا المنحى يتسم بالفردية، فهو " صورة خاصة بصاحبه تبيّن طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة

[9]- فضل صلاح، المرجع السابق، ص95-96.

انفعاله، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب".[10] وهو على هذا الأساس لا يمكن الفصل بينه وبين منشئه، إنه لصيق به، يعبر عن شخصيته وخصائصه النفسية، وهذا البعد هو الذي يضفي على الأساليب سماتها التمييزية، ويكسبها طابع التفرد.

2.2-الأسلوب باعتبار المرسَل إليه أو المخاطَب:

تهتم هذه المقاربة بردود أفعال المتلقي، وذلك باعتبار "الظاهرة الأدبية وليدة مباشرة القارئ للنص."[11] ويعرف الأسلوب وفقا لذلك بسمات النص التي تترك أثرها على متلقيه، فهو-كما يستخلص من آراء شارل بالي "Charles Balley "-يكمن في جملة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ. ويرى بيير جيرو " Pierre Guiraud" أن الخطاب يتلوّن بأصباغ قصد التوصل إلى إثارة القارئ، شد انتباهه، إقناعه وإمتاعه.[12] ويذكر ميشال ريفاتير"Michel Riffaterre" أن هذه العناصر التي يعمد إبرازها في النص لشد الانتباه، تكتسب دلالات تمييزية عند تمكن القارئ من تحليلها، أما في حالة إغفاله عنها، فمصير النص التشويه.[13]

وفي ضوء ما سبق، يبدو تركيز أصحاب هذه المقاربة على المتلقي والدور الهام المنوط به لبلوغ الهدف من عملية التواصل. فمن دون وجود قارئ، لا يمكن الحديث عن تحقق الإبلاغ والتوصيل، ناهيك عن الإفهام والتأثير؛

---

[10]-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص134.

[11]- الطرابسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988، ص19.

[12]-المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت)، ص83.

[13]-المرجع نفسه، ص83.

إنه "الحكم على الجودة أو الرداءة وهو الفيصل في قبول النص أو رفضه"[14].

3.2-الأسلوب باعتبار الرسالة أو الخطاب:

يتمثل الأسلوب بالنظر إلى نص الرسالة أو الخطاب في مجموعة الظواهر اللغوية المختارة التي تشكل عدولا، وفيما يتصل بها من إيحاءات ودلالات.

وتعريف الأسلوب بوصفه مجموعة من الظواهر اللغوية يعني أنه كامن في النص ويبرز في عناصره، وهذه مقاربة للأسلوب من منظور لساني، وهي ترتكز على فكر دي سوسور الذي من جملة ما ينص عليه أن اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها، كما أنه ميّز بين اللغة والكلام. وفي ضوء ذلك، يتحدد الأسلوب بوصفه "العلاقة المميزة لنوعية الكلام داخل حدود الخطاب: وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاته أسلوبه"[15].وهو " موجود في ذاته يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لا شك ولكن دون أن تعلق ماهيته على أحد منهما"[16].

وكون العناصر الموظفة في النص مختارة يعني أن منشئه يختار من بين الإمكانيات اللغوية المتاحة عناصر ويؤثر استعمالها، وفي المقابل يستغني على أخرى تعد بدائل لها ويمكن أن تقوم مقامها.فالاختيار "هو استعمال خاص للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى"[17].

---

[14]-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص21.

[15]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص90.

[16]-المرجع نفسه، ص88.

[17]- مصلوح سعد، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص33.

أما كون مجموعة الظواهر اللغوية المختارة تشكل عدولا، فهذا يعني أن النص الأدبي يشكل انزياحا بالنسبة للنص العادي، ويتحدد الأسلوب من هذا المنظور بكونه "الوظيفة المركزية المنظمة لذلك النص خطابا تركب في ذاته ولذاته"[18].

وبعد استعراض وجهات نظر الدارسين وتعاريفهم للأسلوب باعتبار المخاطِب أو المخاطَب أو الخطاب، تجدر الإشارة إلى أن تعريف الظاهرة الأسلوبية قد يعتمد فيه على إحدى الاعتبارات الثلاثة السابقة، كما قد يراعى فيه أكثر من اعتبار.ونناقش فيما يلي ما ترتب عن اختلاف الباحثين في تعريف الأسلوب في تحديد ماهية الأسلوبية.

3-الأسلوبية، مفهومها واتجاهاتها:

1.3-مفهوم الأسلوبية:

يعد مصطلح "الأسلوبية" المقابل العربي للفظ (stylistique)، كما أن مصطلح "علم الأسلوب" ترجمة للفظ (la science de style). ويذكر عبد السلام المسدي رائد الأسلوبية العربية أن المصطلح مركب من جذع ولاحقة. يتمثل الجذع في لفظ "أسلوب"(Style) ، وهو ذو مدلول إنساني ذاتي، ولذلك فهو نسبي، وقد اشتق من أصل لاتيني معناه "قلم". وتتمثل اللاحقة في لفظة "ية(ique)"، وهي تختص بالبعد العقلي العلمي، وهو بعد موضوعي. ومنه فالأسلوبية تهتم بالبحث عن الأسس الموضوعية الكفيلة بإرساء علم الأسلوب،[19] وتتوخى من المناهج العلمية وخاصة المنهج اللساني مرتكزا لسبر أغوار الخطاب والنفاذ إليه بعمق قصد تحليله وكشف الخصائص الكامنة فيه، والتي تميزه عن غيره من الخطابات، وتوظف لتحقيق أهدافها وسائل وأدوات متنوعة.

[18]- عزام محمد، الأسلوبية: منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989، ص28.

[19]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص33-34.

2.3-اتجاهات الدرس الأسلوبي:

ظهرت الأسلوبية وتحدد مجالها المفهومي في بداية القرن العشرين، وتزامن ذلك "مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علما يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أوالتحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعا لاتجاه هذه المدرسة أو تلك".[20]

ولكن رواد البحث الأسلوبي في محاولاتهم إرساء دعائم العلم الجديد وتثبيت أركانه، أوردوا لمصطلح الأسلوبية تعاريف اتسمت بالتنوع والتعدد تعكس اختلاف مشاربهم وانتمائهم الفكري. ويعد هذا التنوع الذي شهده تعريف هذا المصطلح تابعا لتنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

ولعل أول تعريف يجدر ذكره في هذا السياق، وفي مقاربة شمولية هو التعريف الذي ورد عن شارل بالي مؤسس الأسلوبية نفسه، حيث يرى أن الأسلوب هو" تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي، إلى حيز الموجود اللغوي"[21]، بينما يرى أن الأسلوبية تسعى إلى "إقامة ثبت لجملة من الطاقات التعبيرية الموجودة في اللغة بقوة".[22] ونستخلص من التعريف السابق أن الأسلوب هو استعمال للغة، وأن الأسلوبية تهدف إلى تقعيد ذلك الاستعمال وتقويمه بالنظر إلى إمكانات اللغة وطرائقها المتاحة للتعبير؛ وبتعبير آخر، تكمن مهمة أسلوبية بالي في" دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه. وتتجلى مهمة النقد الأسلوبي في تقويم الطريقة التي يعتمدها مستعمل الخطاب في استخدام المصادر الأسلوبية

[20]- أبوالعدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007، ص39.

[21]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص89.

[22]-ينظر: المرجع نفسه، هامش الصفحة 89.

للغة."[23]ويفترض مفهوم القيمة الأسلوبية "وجود عدد من الطرق للتعبير عن الفكرة نفسها. وهذا ما نسميه بالمتغيرات الأسلوبية التي تشكل كل واحدة طريقة خاصة للتعبير عن المفهوم ذاته."[24]

وما من شك أن بلوغ الهدف السابق يقتضي أن تجد الأسلوبية لنفسها منهجا علميا مغايرا للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كان مرتكزها السياقات الخارجة عن النصوص، فضلا عن سيطرة التحليل الذاتي في النقد التقليدي. وفي ضوء ما سبق، تتحدد ماهية الأسلوبية-كما عرفها عبد السلام المسدي انطلاقا مما أقره الدرس الحديث-على أنها:" علم تحليلي تجريدي، يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسني ذا مفارقات عمودية."[25]

وفضلا عن التعريفات السابقة التي تكتسي طابعا تأصيليا شموليا، فثمة تعريفات أخرى تشير إلى تشعب مجال الدراسة الأسلوبية، نذكر منها تعريف منذر عياشي الذي عرف الأسلوبية بأنها:" علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها-أيضا-علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس. ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات." [26] وما من شك أن هذا التعدد والاختلاف والتنوع الذي يميز موضوع الأسلوبية مع طموحها إلى انتهاج المنهج العلمي في معالجة قضاياه، هو الذي أدى إلى تعدد "مدارسها

[23]- جيروبيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994، ص73.

[24]-المرجع نفسه، ص52-53.

[25]-المسديعبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص33.

[26]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ-2015م، ص25، أو: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق—سوريا، ط1، 1990، ص65.

ومذاهبها"[27]، وهو الشيء الذي انعكس كذلك في محاولات العلماء للتعريف بهذا العلم.

ويمكن إجمالا تصنيف تعاريف الأسلوبية وحصرها على اختلاف اتجاهاتها وفقا للاعتبارات الثلاثة التي تم وفقها تعريف الأسلوب، وهي: المخاطِب والمخاطَب والخطاب، حيث يمكن التمييز بين اتجاهات ثلاث اهتمت بحد الأسلوبية، نعرضها فيما يلي:

1.2-الاتجاه الأول:

وهذا الاتجاه يحيل إلى الترابط بين النص ومنشئه، وتعود فكرة الاهتمام بالكاتب في تحليل الخطاب إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية. وفضلا عن ذلك، فإن" الصورة اللفظية التي هي أول ما يلقى من الكلام، لا يمكن أن تحيا مستقلة، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي، انتظم وتألف في نفس الكاتب، أو المتكلم؛ فكان بذلك أسلوبا معنويا، تكوّن التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمه، إذا كان المعنى هو الروح."[28]

ويستمد التحليل الأسلوبي إطاره النظري وفقا لهذا المنظور من مقولة بيفون ومن حذا حذوه في تعريف الأسلوب مثل: فلوبيروشوبنهاور وماكس جاكوب وبروست؛[29] ولأن الأسلوب حسبهم هو الرجل، وعن طريقه يمكن

[27]- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

[28]-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003، ص40.

[29]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص31.

النفاذ إلى نمط تفكير الكاتب، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة " معتقد الكاتب، ونظرته إلى القضايا، وانفعالاته".[30]

2.2--الاتجاه الثاني:

يولي صحاب هذا الاتجاه الذي من رواده ريفاتيروجاكبسون[31] أهمية لدور المتلقي في عملية توصيل الخطاب، وهو يشكل بذلك مرتكزهم في تحليله، وفي تحديد الإطار المفهومي للأسلوبية. وكما يعد الأسلوب من هذا المنظور قوة ضاغطة على المتلقي أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع[32]، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة التأثيرات التي تحدثها هذه القوة فيه. وفي ضوء ما سبق، فإنه "يمكن إدماج القارئ في النظرية الأسلوبية كمتلق يعتد بدوره في تحديد التأثير داخل عملية التواصل الأدبي."[33]

وفكرة التأثير هذه تبلورت في أسلوبية بالي الذي يرى أن "أصل الأسلوب هو إضافة ملمح تأثيري إلى التعبير، ولا شك أن هذا الملمح التأثيري ذو محتوى عاطفي"[34]، وعرف "سيدليرseidler" الأسلوب والأسلوبية معتمدا على هذا المحتوى وباعتبار وجهة نظر المتلقي، حيث يقول: "الأسلوب هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية، وعلم الأسلوب يدرس ويحلل وينظم مجموعة

[30]- النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003، ص65.

[31]- المرجع نفسه، ص67.

[32]- عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996، ص42.

[33]- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[34]-المرجع نفسه، ص97.

الخواص التي يمكن أن تعمل- أو تعمل بالفعل-في لغة الأثر الأدبي، ونوعية تأثيرها، والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي."[35].

3.2-الاتجاه الثالث:

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن محط الاهتمام في الظاهرة الأسلوبية هو الخطاب، فهم يرون-كما يرى بالي نفسه -أن "الأسلوب هو الاستعمال ذاته،"[36] ونظرتهم هذه تستمد مرجعيتها من مبادئ النظرية اللسانية البنوية التي أقام صرحها ديسوسور. والأسلوبية من هذا المنظور"تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب، طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية."[37] وتدرّج هذ التوجه اللساني في تطوره ليتخصص "بالبحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى الصياغة."[38]

وأما عن علاقة هذا الاتجاه بأنماط الخطاب، فتجدر الإشارة أن الأسلوبية في مقاربتها اللسانية تهتم بمعالجة الخطاب التعبيري العادي، مثلما تهتم بمعالجة الخطاب الفني الأدبي، فكما "أن اللغة ليست حكرا على ميدان إيصالي دون آخر فإن علم الأسلوب ليس حكرا-هو أيضا-على ميدان تعبيري دون آخر."[39]

وفي ضوء ما سبق، تكمن وظيفة الأسلوبية وتتحدد ماهيتها بأنها "علم نحوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره، إنها تتحرى

[35]- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[36]-المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص 89.

[37]-المرجع نفسه، 34-35.

[38]-المرجع نفسه، ص35.

[39]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية وتعتبر الأسلوب ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها."[40]

وعند ما يتعلق الأمر بتحليل الخطاب الفني على وجه الخصوص، يعرف جاكبسون النص الأدبي " بكونه خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام،"[41] ويتعين بذلك مفهوم الأسلوب عنده –كما سبق الذكر- أنه "الوظيفة المركزية المنظمة،"[42] كما يتعين عنده مفهوم النص بكونه "خطابا تركب في ذاته ولذاته."[43]

وينتج الأسلوب حسب جاكبسون عن "تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف،"[44] حيث يتحدد بتوافق عمليتين: عملية اختيار المتكلم من الرصيد المعجمي للغة لأدوات التعبير، وعملية تأليف هذه الأدوات فيما بينها في السياقات الكلامية، وذلك وفقا لما تقتضيه قواعد النحو في بعضها، ولما تسمح به سبل التصرف في الاستعمال في بعضها الآخر.

ويترتب عن آراء جاكبسون السابقة فيما يتعلق بمجال البحث الأسلوبي أمران:

1-تبحث الأسلوبية "عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا."[45] وفي سبيل تحقيق الهدف الأول، فإن وظيفة التحليل الأسلوبي هي الكشف عن

[40]- بن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، ط1، 1980، ص140.

[41]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص92.

[42]-المرجع نفسه، ص92.

[43]- المرجع نفسه، ص93.

[44]- المرجع نفسه، ص96.

[45]- المرجع نفسه، ص37.

السمات اللغوية التي تجعل النص ينتقل من سياق الإخبار ليكتسب وظيفة تأثيرية وجمالية.[46]

2-التحليل الأسلوبي "لا يعدو أن يكون تفكيكا للعناصر المكوّنة لجهاز الإبلاغ لتتبع ما يحدث بينها عند التفاعل وما ينقطع عند الانفصال وذلك بطريق العزل والضم حتى تتجلى المفارقات والمقاربات اختياريا."[47]

خاتمة:

إن الدراسة التحليلية للمفاهيم التأصيلية لمصطلح الأسلوبية ومناقشتها في ضوء المفاهيم التي حدد من خلالها موضوع بحثها: الأسلوب، تبين بوضوح أن المفاهيم التي أفردت لتحديد العلم اتسمت بالتنوع والتعدد، وهي بذلك تعكس من دون شك اختلاف مشارب الباحثين الدارسين وانتمائهم الفكري، ولكنها في الوقت ذاته تعكس ارتباط العلم بموضوع درسه.إن التنوع الذي شهده تعريف مصطلح الأسلوبية مرده تنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

وتجدر الإشارة إلى أن كل الاتجاهات الدرس الأسلوبي باعتبارها تأثرت بالنظرية اللسانية الحديثة، تنطلق من النص أو الخطاب وليس من عوامل أخرى خارجة عنه، مثلما كانت المناهج التقليدية التي سادت قبلها أو عاصرتها، وهي تهتم به بوصفه يمثل انزياحا بالنسبة إلى نماذج أخرى.

وإنما تختلف هذه الاتجاهات في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى الأسلوب والتي تتحدد من خلالها ماهية الأسلوبية واتجاهاتها. فحينما تنظر إلى الأسلوب من جهة مبدع الخطاب، تهتم الاسلوبية بالبحث عن السمات الاسلوبية التي تبرز مكنونات شخصيته،والتي تشكل عوامل

[46]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص36.

[47]- المرجع نفسه، ص93.

تفرده، وهي تحيل بذلك إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية؛ وعندما تعنى بالمتلقي،يتجه البحث إلى دراسة التأثيرات التي يحدثها الأسلوب فيه باعتباره قوة ضاغطة عليه أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع؛وأما عندما يكون محط الاهتمام هو الخطاب نفسه، فالمعتبر هو البعد اللساني،وبذلك يكون التركيز على بنيته وصياغته باعتبارها الوسيلة التي تتيح النفاذ إلى جوهر الأثر الأدبي.

**<u>المصادر والمراجع:</u>

1-ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ.
2-ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مج1، ط1، دار صادر، بيروت. 1955،
3-أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007.
4-ابن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1980.
5--الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001.

6-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ.
7-جيروبيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، ط2، مركز الإنماء الحضاري، 1994.
8-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، (د.ت).
9-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003.
10-الطرابلسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988.
11-عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996.
12-عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989.
13-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1436هـ-2015.
14-عياشي منذر، مقالات في الأسلوبية، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1990.
15-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
16-فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964.

17-المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت).
18-مصلوح سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.
19-النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003.